(٩٣)

يوم المرحمة

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

(سورة النساء الآية: ٥٨)

النبى : يا معشـــر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية.. الناس من آدم، وآدم من تراب.

(يتلـــو) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(سورة الحجرات الآية: ١٣)

«النبـــى – عليه الســـلام – فـــى رحاب بيت الله الحـــرام، يدعو إليه صحابته، ويأمر عمر بن الخطـاب بأن يرفع ويمحو ويزيل ما بداخلها من الصور.. يطير عمر ومعـــه بعض الصحابة لتنفيذ ما أمر به الرحمة المهداة..»

«النبـــى – عليه الســـلام – بمكانه ومن حوله المسلمون، يأتيه عمر بن الخطاب ينهى إليه أنه وأصحابـــه قد أزالوا ما بداخل الكعبة من صور.. ينهـــض عليه الســـلام يجول فـــى الكعبة فيلمح صورة لا تزال فيها مرســـومة لإبراهيم الخليل – عليه السلام.. تصوره يستقســـم بالأزلام.. النبى ينادى عمر..»

النبى : يـــا عمر، ألم آمـــرك ألاّ تدع فيها صورة؟! جعلوه شـــيخًا يستقسم بالأزلام!!

(يتلو) ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(سورة آل عمران الآية ٦٧)

صحابى : هـــذه صورة أخرى، تصور إبراهيـــم وإسماعيل فى أيديهما الأزلام!

النبى : قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط!

«النبى – عليه الســـلام – يتناول من أصحابه ثوبًا، ويبله ويســـاعد به فى محو الصور الوثنية

بنفســه يزيل والمســلمون كل أثر من آثار الوثنية ببيت الله الحرام..»

* * *

«فــى صحــن البيت العتيــق.. النبى – عليه السلام – ينشد دخول الكعبة، فيلفى بابها مغلقًا ومفتاحه مــع عثمان بن طلحة.. بعض الصحابة يسارعون بالبحث عن عثمان فيجدونه فوق سطح الكعبة..».

بعض الصحابة : رسول الله يريدك يا عثمان..

عثمان بن طلحة : (وهو يسارع بالنزول) فداه أبى وأمى..

«أمام الكعبة، وقد طار عثمان إلى رسول الله قابضًا على مفتاح الكعبة كمن يخشى أن يأخذه أحد منه فيضيع عليه هذا الشرف الذى يتوارثه بيته منذ أيام الجاهلية..».

النبى : (لعثمان) أرنى المفتاح.

عثمان بن طلحة : (يبسط يده مترددًا) ها هو يا رسول الله..

العباس : (ينهض من مجلســه متداخلاً) يا رســول الله، بأبى أنت وأمى! اجمعه لى مع السقاية..

«عثمان بــن طلحة يكف يــده جافلا ويعاود القبض على المفتاح!!».

النبى : هات المفتاح يا عثمان!

عثمان بن طلحة : (يمد يده صادعًا) هاك أمانة الله.

«النبى – عليه السلام – يتناول المفتاح، ويفتح الكعبة.. يدخل عليه السلام وفى صحبته أسامة وبلال وعثمان بن طلحة.. النبى – عليه السلام – يكبر فى زوايا الكعبة وأرجائها.. يتخير موقعًا بين العمودين اليمانيين، فيصلى ركعتين ويمكث مليًا يتضرع إلى ربه، ثم يخرج بين تكبيرات المسلمين، ويأخذ فى الطواف بالبيت محفوفًا بالطائفين معه، تتردد أصداء تكبيراتهم فى جنبات البيت الحرام وما حوله..».

«النبى عليه السلام أمام الكعبة وقد انتهى الطواف، يسارع إليه العباس..».

العباس : (ملحًا) بأبى أنت وأمى، اجمع مفتاح الكعبة لى مع السقاية!

«النبى – عليه السلام – صامت لا يجيب.. تأخذه عليه السلام خفقة، ويتنزل عليه الروح الأمين، لا يحسه ولا يراه سواه..»

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ (سورة النساء الآية ٥٨)

(يرتفع الوحى)

«النبى عليه السلام ينادى عثمان بن طلحة..».

عثمان بن طلحة : فداك أبى وأمى يا رسول الله..

النبى : (لعثمان) إليك المفتاح.. (النبى يناوله مفتاح الكعبة).

عثمان : (يردد مغتبطًا) مفتاح الكعبة.. إنه أمانة الله..

النبى : (يتلـو) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾
(سورة النساء الآية ٥٨)

عمر بن الخطاب : فداه أبى وأمى، ما سمعته يتلوها قبل ذلك.

صحابى : نزلت فى عثمان بن طلحة..

النبى : (لعثمان) خذوها يا بنى أبى طلحة بأمانة الله خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلاّ ظالم..

«عثمان بن طلحة يطير فرحًا بين تكبيرات المسلمين..».

* * *

«على باب الكعبة، وقد فرغ النبى – عليه السلام – من صلاته بداخل الكعبة، وطهرها من الأوثان والأدران، يقف عليه السلام فى الناس وهم يترقبون سماعه كأن على رؤوسهم الطير..».

النبى : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألاَ كل مأثُرة أو دم أو مال يُدعى فهو موضوع تحت قدميه هاتين إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاج ألاَ وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، فيه الدية مغلظة مائة من الإبل، أربعون منها فى بطونها أولادها.. يا معشر قريش، وإن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب..

«تتعالى تكبيرات المسلمين..».

* * *

«الكعبة، والنبى - عليه السلام - فى طوافه.. يقترب منه شخص غير معروف من بين الطائفين.. إنه فضالة بن عمير بن الملوح الليثى.. الرجل يخفى ما يضمره بنفسه من عزم على قتل رسول الله، بيد أنه ما يكاد يدنو منه حتى يبتدره النبى عليه السلام..».

النبى : (للرجل) أَفَضَالة؟

فضالة بن عمير : (مبهوتًا) نعم فضالة يا رسول الله.

النبى : ماذا كنت تريد أن تحدث به نفسك؟!

فضالة : (بقلب واجف) لا شىء.. (يستأنف متلعثمًا) كنت أذكر الله عز وجل..

النبى : (وهو يضحك) استغفر الله.

«الرجل يقف مبهوتًا، بينما يضع النبى يده على صدره حتى هدأ وهو لا يكاد يدرى ماذا يحدث ولا يفقه كيف عرف النبى عليه السلام ما يدور فى دخيلة نفسه.. ما إن يتمالك فضالة نفسه حتى يستأنف الطواف مشغول الخاطر بما كان..».

* * *

«بظاهر الكعبة بعد الطواف.. فضالة مع بعض أصحابه يتناجون..».

فضالة : (لأصحابه) والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خُلق شيء أحب إلىَّ منه..

«فضالة ينطلق ناشدًا داره..».

* * *

«فى بعض الطريق بأزقة مكة.. فضالة يصادف امرأة اعتاد أن يتحدث إليها وأن تتحدث معه.. تهش المرأة له، وتدعوه إليها مرحّبة..».

فضالة : (جافلاً) لا.

المرأة : (مستغربة) فلم لا؟!

فضالة : يأبى علينا الله والإسلام.. (ينشد):

لـو مـا رأيـت محمـدًا وقبيلَـهُ بالفتـح يـوم تُكسّـر الأصنـامُ
لـرأيت ديـن الله أضحى بيّنًا والشرك يغشى وجهَهُ الإظلامُ

«فضالة ينطلق موليًا!..»

* * *

«الكعبـة بعد أن فرغ النبى عليه السـلام من طوافـه، يتجـه صلى الله عليه وسـلم إلى الصفا فيعلوهـا، حتـى يـرى البيـت، والأنصار مع المهاجريـن أمام الصفا.. النبى عليه السلام يرفع يديـه بالدعاء، ويحمد الله تعالى ويذكره، ويمضى فى الدعاء والابتهال..».

بعض الأنصار : (لبعضهم) أأدركت الرجل رغبة فى قربته، ورأفة بعشيرته؟

«الأنصار بأسفل الصفا.. يرقبون النبى - عليه السلام - فى إشفاق أن يغلبه الحنين إلى قربته وعشيرته.. ما يدرون إلاّ والنبى - عليه السلام - ينادى فيهم..».

النبى : (مناديًا) يا معشر الأنصار.

الأنصار : لبيك يا رسول الله..

النبى : قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قربته، ورأفة فى عشيرته!

الأنصار : (وقد أخذتهم الدهشة) قد قلنا ذلك يا رسول الله.

النبى : فما أسمّى إذن!! كلاّ، إنى عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، المحيا محياكم والممات مماتكم!!

«الأنصار تداهمهم المشاعر، وتنعطف نفوسهم، وتنثال عبراتهم.. يقبلون على النبى - عليه السلام - باكين..».

الأنصار : والله ما قلنا الذى قلنا إلاّ الضن بالله وبرسوله.

النبى : فإن الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم..

* * *

«بالمسجد الحرام، النبى - عليه السلام - وسط صحابته ومن أسلم من قريش وسائر العرب من قاطنى مكة - يقبل أبوبكر الصديق يقود أباه أبا قحافة عثمان بن عامر.. وعلى رأسه ثغامة (فرع شجرة صغير يابس أبيض) يلمحهما الرحمة المهداة مقبلين عليه..».

النبى : (لأبى بكر – حانيًا) هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنـا آتيه فيه؟!.. (يستأنف) لو أقررت الشيخ فى بيته لآتيناه!

أبوبكر : يا رسول الله، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه.

«أبوبكر يجلس أباه بين يدى رسول الله، يبادر عليه السلام فيمسح صدر الشيخ، ويتلو عليه بعضًا من القرآن..».

النبى : (لأبى قحافة مترفقًا) أسلم..

أبو قحافة : أشهد ألاّ إله إلاّ الله ، وأن محمدًا رسول الله..

النبى : (وهو يشير إلى الثغامة التى بشعر الشيخ) غيروا هذا من شعره ولا تقربوه سوادًا.

أبوبكر : نفعل يا رسول الله..

النبى : هنيئًا لك يا أبابكر اسلام أبيك..

«أبو بكر يفتر وجهه عن بسمة رضا، ويمتلئ المكان بأنسام الرحمات تستقبل إسلام الشيخ بعد زمن طويل!».

* * *

«بخباء النبى – عليه السلام – وأم هانئ بنت أبى طالب تشكو لفاطمة بنت محمد من أخيها علىّ زوج فاطمة..».

أم هانئ : ابن أبى وأمى.. دخل علىّ متخفيًا مدججًا بالسلاح لا أعرفه، فخفت منه وبادرته أقول محتمية: أنا بنت عم رسول الله.

فاطمة : (ضاحكة) فما فعل؟!

أم هانئ : أسفر عن وجهه فإذا هو أخى علىّ! اعتنقته وسلمت عليه، فما أن شاهد عندنا حموين لى من المشركين من بنى مخزوم أهل زوجى هبيرة - حتى أشهر عليهما السلاح يريد أن يجهز عليهما!.. (تستأنف) ألقيت عليهما ثوبًا وقلت لأخى علىّ إنهما فى جوارى!

فاطمة : (مستنكرة) تجيرين مشركين ؟

أم هانئ : إنهما أهل زوجى هبيرة بن أبى وهب.. استجارا بى فأجرتهما!.. لقد حلت بين أخى علىّ وبينهما وقلت له لأثنيه: والله لتبدأ بى قبلهما!.. فخرج غاضبًا!

فاطمة : (عاتبةً) تجيرين مشركين؟

«يطلع عليهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه آثار الغبار..»

النبى : (وقد لمح أم هانئ) مرحبا بفاختة أم هانئ.

«النبى - عليه السلام - يدعو إليه بماء ليغتسل.. تأتيه فاطمة بجفنة يغتسل - عليه السلام - منها، ويتوشح بثوبه، ويصلى ثمانى ركعات.. ثم ينصرف إلى أم هانئ وفاطمة..»

النبى : مرحبًا وأهلاً بأم هانئ، ما جاء بك؟

أم هانئ : جئت أستجير بك من أخى علىّ ابن أبى وأمى!!.. أراد أن يعدو على مشركيْن من بنى مخزوم قوم زوجى أجرتهما بدارى..

النبى : (حانيًا مطمئنًا) لا عليك يا أم هانئ.. قد أجرنا من أجرت، وأمَّنا من أمنت..

«أم هانئ تقفز طائرة وقد غمرتها الغبطة.. تنشد الرجلين لتبشرهما بالأمان الذى أعطاه لهما الرحمة المهداة!..».

* * *

«النبى - عليه السلام - مع صحابته ومن حوله المسلمون فى صحن البيت الحرام.. فى الجالسين بفناء الكعبة: أبو سفيان بن حرب، وعتّاب وخالد ابنا أسيد، والحارث بن هشام - وغيرهم.. يملؤهم حب الاستطلاع فيستشرفون من على رؤوس الجبال المحيطة ماذا يجرى فى البيت العتيق.. يحل ميقات الظهر، فيأمر - عليه السلام - بلال بن رباح برفع الأذان من فوق الكعبة..»

«المشركون على رؤوس الجبال ينظرون بلالاً وهو يرفع الأذان من أعلى الكعبة.. تملؤهم الحسرات، ويغلبهم غيظهم..»

عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيدًا أن لا يكون يسمع هذا، فيسمع ما يغيظه!

الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته!

أبو سفيان : لا أقول شيئًا.. لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا..

«بلال بن رباح يعلو صوته فى الأذان أشهد أن محمدًا رسول الله..».

جويرية بنت أبى جهل : (كظيمة بفناء المسجد) قد لعمرى رفع الله لك ذكرك!.. أما الصلاة فسنصلى، ولكن والله لا نحب من قتل الأحبة أبدًا!.. (تستأنف) ولقد كان أبى الذى جاء محمدًا من النبوة فردها ولم يرد الخلاف فى قومه!!!

خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع هذا اليوم!

الحارث بن هشام : وا ثكلاه! ليتنى متّ قبل هذا اليوم الذى أسمع فيه بلالاً ينهق من فوق ظهر الكعبة!

أحد القرشيين : لقد أكرم الله أبى إذْ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة!

الحكم بن أبى العاص : هذا والله الحدث العظيم أن يصيح عبد بنى جُمَح على بنّية أبى طلحة!

سهيل بن عمرو : إن كان الله يكره هذا فسيغيره، وإن كان يرضاه فسيقرّه!

«المشركون يتسللون هاربين من رؤوس الجبال مملوئين بالأسى والحسرات!!».

* * *

«فى حى من أحياء مكة.. حويطب بن عبد العزى يفر هاربًا على غير هدى.. يبحث عن مأوى يختبئ فيه مخافة انتقام المسلمين عن ايذائه لهم.. يستخفى خلف حائط، فيشاهده أبو ذر الغفارى..».

أبو ذر : (مناديًا) لا تخف يا حويطب.. أنت آمن..

حويطب : (متشككًا) أحقًا تقول يا أبا ذر؟!

أبو ذر : أجل.. أنت آمن. – فإن شئت أدخلتك على رسول الله وإن شئت فاذهب إلى منزلك..

حويطب : وهل لى سبيل إلى منزلى؟.. أخاف أن ألقى فأقتل قبل أن أصل إلى منزلى. أو يُدْخل علىّ منزلى فأقتل..!

أبو ذر : فأنا أبلغ معك منزلك..

«أبو ذر يصاحب حويطب إلى منزله وهو ينادى بأن حويطب آمن..».

* * *

«فى قبة النبى – عليه السلام – بمكة.. يلحق به أبو ذر فيخبره بما كان من أمر حويطب..».

النبى : أو ليس قد أمّنّا كل الناس يا أبا ذر؟!!

«ينطلق أبو ذر فينادى بالأمان بين أهل مكة..».

المسلمون : (ينشدون) قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا..

الرسول : (يتلو) «إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا»

* * *

«النبى – عليه السلام – وسط صحابته بالكعبة، يقدم عليهم السائب بن عبدالله المخزومى.. كان يشارك رسول الله فى التجارة

قبل البعث، ما إن يطل السائب على رسول الله حتى يستقبله عليه السلام مرحبًا..»

النبى : (للسائب) مرحبًا بأخى وشريكى، كان لا يُدارى ولا يمارى!!

السائب بن عبدالله : يا رسول الله قد جئتك مسلمًا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله.

النبى : يا سائب!! قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لا تتقبل منك وهى اليوم تتقبل منك!

عثمان بن عفان وبعض الصحابة : (معقبين) يا رسول الله، كان ذا سلف وخُلّه!

النبى : لا تعلمونى به، كان صاحبى..

* * *

«عند «قرن مسفلة» (موضع أسفل مكة).. النبى – عليه السلام – يجتمع إليه القرشيون وأحياء العرب بمكة يريدون أن يشهدوا بين يديه بأنه لا إله إلاّ الله وأنه – عليه السلام – رسول الله، وأن يبايعوه.. يلتف من حوله الرجال والنساء، والكبار والصغار، يريدون الشهادة والبيعة..»

«النبى يجلس لهم على «الصفا» وبأسفل مجلسه عمر بن الخطاب يأخذ على الناس السمع والطاعة لله ورسوله فيما استطاعوا.. تتوالى شهادة وبيعة الرجال، ومن ورائهم النساء.. تتقدم من النساء امرأة منتقبة واضح أنها حريصة على إخفاء شخصيتها، إنها هند بنت عتبة،

تخشـــى أن يأخذها الرسول بجرائرها.. تلحظها بصيرة الرحـمة المهـداة ولكنـه لا يفصح ولا يعلق بشيء..».

النبى : (للمبايعات) بايعننى على ألا تشركن بالله شيئًا..»

هند بنت عتبة : (ترفع رأســها وتنبرى) والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال.. تأخذ عليهم فقط الإسلام والجهاد..

النبى : (يمضى متجاهلا اندفاعها) ولا تسرقن!

هند : (وقـد شعرت أن النبى تعرف عليها) والله إنى كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة، وما كنت أدرى أكان ذلك حلالاً أم لا؟..

«أبــو ســفيان واقــف عــن كثب، فيــدارك زوجته..».

أبو سفيان : (لزوجته هند) مـا أصبت فيمـا مضى فأنت منه فى حل.. عفا الله عنك.

النبى : (يستأنف) ولا تزنين.

هند : (منبرية) يا رسول الله: أو تزنى الحرة؟!

النبى : ولا تقتلن أولادكن!

هند : قد ربيناهم صغارًا وقتلتهم كبارًا، وأنت وهم أعلم..

«النبى – عليه الســلام – يفتر ثغره عن بسمة متسامحة..»

النبى : ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن!

هند : والله إتيان البهتان لقبيح ولَبعضُ التجاوز أمثل..

النبى : ولا تعصين!

هند : فى معروف..

النبى : (لعمـــر بن الخطاب متجاهلاً لجاجتهـــا) يا عمر، بايعهن واستغفر لهن الله، إن الله غفور رحيم.

«عمـــر بن الخطاب يأخذ البيعة على النســـاء بـــين تكبيرات المســـلمين والمســـلمات - تتصاعد أصداء تكبيراتهم فى جنبات المســـجد الحرام إلى عنان السماء..».

* * *

«خبـاء النبى - عليه السلام - بالأبطح بمكة، تســـتأذن عليه ابنته فاطمة ومعها نســـاء من بنى عبد المطلب وأخريات من قريش أسلمن وبايعن.. فى النســـاء امرأة منتقبة هى هند بنت عتبة زوج أبى سفيان تزاحم صويحباتها لتبدأ هى الحديث إلى الرحمة المهداة..».

هند بنت عتبة : يا رســـول الله، الحمد لله الذى أظهر الذى اختاره لنفسه، لتمسنى رحمتك.. يا محمد، إنى امرأة مؤمنة بالله مصدقة..

«تكشف هند عن نقابها!»

(تستأنف) إننى هند بنت عتبة!

النبى : مرحبًا بك.

هند : والله يا رســـول الله، ما علـــى الأرض من أهل خباء أحب إلىّ مـــن أن يَذِلّـــوا من أهل خبائك، ولقد أصبحت وما على الأرض مـــن أهـــل خباء أحـــبّ إلىّ من أن يعـــزُّوا من أهل خبائك..

النبى : وزيادة أيضًا!

«النبى – عليه السلام – يتلو عليهن القرآن ويعظهن..».

هند : يا رسول الله، نماسحك.

النبى : (معتذرًا) إنى لا أصافح النساء.. إن قولى لمائة امرأة مثل قولى لامرأة واحدة..

أم حكيم بنت الحارث: يا رسول الله، قد هرب زوجى عكرمة إلى اليمن، أخاف أن تقتله فأمّنه..

النبى : هو آمن..

«أم حكيم يجتاحها السرور، تخرج مغتبطة فى أعقابها النساء فرحات مهنئات، يساعدنها وهى تتجهز للحاق بزوجها عكرمة بن أبى جهل لترده إلى مكة وقد أتاه أمان الرحمة المهداة!».

* * *

«بصحن الكعبة.. أبوسفيان جالس فى عدد ممن دخلوا الإسلام يوم الفتح، يتناجون ويتذاكرون فيما كان وكيف انهزموا مرة تلو مرة أمام رسول الله مع قلة عدد المسلمين الذين كانوا معه منذ بدر!!.

أبوسفيان : (متحسرًا) ما أدرى بما يغلبنا محمد؟

«النبى يظهر قادمًا من باب الكعبة.. ييمم مباشرة إلى أبى سفيان فيضرب برفق على صدره ويبادره وسط اندهاش الحاضرين!!».

النبى : (لأبى سفيان) بالله نغلبك يا أبا حنظلة..

«أبوسفيان يقف مبهوتًا لا يدرى كيف عرف رسول الله بما نطق به قبل مجيئه.. ».

أبوسفيان : أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به!

«النبى – عليه السلام – يفتر ثغره عن بسمة غافرة، بينما أصحاب أبى سفيان ينظرون مبهوتين وكأن على رؤوسهم الطير..».

* * *

«دار أبى سفيان بمكة، خال إلى زوجه هند بنت عتبة يتناجيان..».

أبوسفيان : (متحسرًا) أرأيت يا هند كيف كان محمد والمسلمون ليلة الفتح؟

هند بنت عتبة : كانوا يكبرون ويهللون..

أبوسفيان : لم يزالوا فى تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا!!.. (متسائلاً) أترين هذا من الله؟

هند : نعم هذا من الله.. أيكون غير ذلك؟!

«أبوسفيان تأخذه صدمة الجواب فينطوى على نفسه، يتمعن فيما شاهد وما سمع من زوجته التى كانت حتى الأمس تعادى الإسلام ورسوله وتناصبهما العداء.. أهذه هند التى يعرفها تقول: نعم هذا من الله!.. أبوسفيان لا يستطيع أن يستوعب ما تلاحقت به الأحداث، فيخلد إلى النوم بقلب مليء بالحسرات..».

* * *

«صباح اليوم التالى – بالمسجد الحرام، يدخل أبوسفيان فيلفى النبى – عليه السلام – فى صحابته من المهاجرين والأنصار.. لا يكاد أبوسفيان يجلس حتى يبادره النبى – عليه السلام..».

النبى : قلت لهند بأمس أترين هذا من الله؟

أبوسفيان : (يردد مبهوتًا) قلت لهند؟!

النبى : وقالت لك: نعم هذا من الله.

«أبوسفيان يأخُذه العجب مع المفاجأة.. يصمت لحظة مبهوتًا، ثم يطفق قائلاً: أشهد أنك عبد الله ورسوله، والذى يُحلف به ما سمع قولى هذا أحد من الناس إلاّ هند!!.